

ذو الحجة
١٤٤٤ هـ

كلمة شهرية بعنوان

الجماعة المسلمة (١)

بقلم

حفظه الله تعالى

محمد بن سعيد الأندلسي



كلمة شهرية بعنوان

الجماعة المسلمة (١)

ذو الحجة ١٤٤٤ هـ

بقلم



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين أما بعد فإن تحقيق الإسلام الصحيح الذي بعث به موكب النور من الأنبياء والمرسلين في هذا الزمان هو بالخروج عن ربقة الجاهلية ومفاصلة أوضاعها والبراءة من أقوامها ومجتمعاتها، ويتحقق ذلك بإفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة والحكم والطاعة والاتباع ــ وقد فصلنا هذا في كتاب: الهداية ــ ويكون الإسلام في صورة الجماعة المسلمة كما كان يوم بعثة النبي ﷺ في صورة الجماعة التي أقام لبناتها ﷺ وشيَّد صرحها من بعده الخلفاء الراشدون حتى بلغ الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها... الجماعة التي كان الخارج منها حينئذٍ قد خلع ربقة الإسلام من عنقه كما قال ﷺ: «وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ» [١]، وعن عبد الله بن يزيد الدمشقي قال: أتيت الحسن فذكر كلامًا إلَّا أنَّه قال: أدركت ثلاثمائة من أصحاب محمد ﷺ منهم سبعون بدريًّا كلهم يحدثني، أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه» [٢]، لذلك نص الأئمة من السلف على هذا الأصل العظيم في كتب أصول السنة فقرروا أن من أصول السنة لزوم جماعة المسلمين وترك الشذوذ عنهم والخروج من جملتهم وجماعتهم، قال البربهاري: «اعلموا أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر، فمن السنة لزوم الجماعة، فمن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وكان ضالا مضلا» [٣].

إن الدعوة إلى الإسلام الشمولي هي دعوة إلى توحيد الله في جميع خصائصه ومفاصلة الجاهلية والخروج من ربقتها ولزوم جماعة المسلمين والولاء لها، فالخارج من الجاهلية داخلٌ في الجماعة المسلمة ولابد وإلا هو الضياع الكبير، وهو الحال الذي يعيشه المسلمون في هذا الزمان دون جماعة أو قفير... ولقد تأملت طويلاً في أسباب التشرذم التي ابتلي بها المسلمون في هذا الزمان فانتهى بي اليقين إلى أن أعظم أسباب النكسة والفرقة والضياع هو غياب الجماعة المسلمة التي في لزومها حسمٌ لمادة الخلاف

[١] مسند أحمد (٢٨ / ٤٠٦ ط الرسالة)

[٢] تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ط دار التفسير (٢٦ / ٢٤٢)

[٣] شرح السنة للبربهاري (ص٣٥)

وجمع لوحدة الصف وعلاج لأمراض النفوس والقلوب من الغل والنفاق والحسد كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ: «ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَدًا: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ» [٤] أي: «لا يكونُ القلبُ عليهِنَّ ومعهُنَّ غليلًا أبدًا، يعني: لا يكونُ فيه مرضٌ ولا نفاقٌ إذا أخلَص العملَ للهِ، ولزِم الجماعة، وناصَح أُولي الأمر» [٥].
ولا شك أن حلبة الجدال ومصرع الخصومات هي المستنقع الآجن لتوليد أسباب النزاع ودواعي الافتراق، والخروج من ذلك كله هو في ما قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَمَرَ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَمَاعَةِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الِاخْتِلَافِ وَالْفُرْقَةِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ بِالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَاتِ فِي دِينِ اللهِ» [٦].

أيها المسلمون: اعلموا أنكم جماعة شئتم أم أبيتم، فجماعة المسلمين توجد حين يوجد مسلمان فأكثر كما روي عَنْ نَافِعٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ» قَالَ نَافِعٌ: "فَقُلْنَا لِأَبِي سَلَمَةَ: فَأَنْتَ أَمِيرُنَا" [٧]، وقوله ﷺ: «في سفر» لأن الجماعة كانت قائمةً في الحضر فلم يرض النبي ﷺ لثلاثة من المسلمين في فلاة أن يكونوا بلا إمارة وجماعة!! فكيف بنا ونحن في جاهلية نكراء وخطوب عظماء وفتن دهماء بلا جماعة نفيء إليها ولا سفينة نستقلها في هذه الأمواج المتلاطمة من الفتن، وهل تظن أخي المسلم أنك تثبت على الإسلام في هذه الجاهلية دون جماعة؟ وقد قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: «إِنَّهُ لَا إِسْلَامَ إِلَّا بِجَمَاعَةٍ وَلَا جَمَاعَةَ إِلَّا بِإِمَارَةٍ وَلَا إِمَارَةَ إِلَّا بِطَاعَةٍ، أَلَا فَمَنْ سَوَّدَهُ قَوْمُهُ عَلَى فِقْهٍ كَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُ وَمَنْ سَوَّدَهُ قَوْمُهُ عَلَى غَيْرِ فِقْهٍ كَانَ ذَلِكَ هَلَاكًا لَهُ وَلِمَنِ اتَّبَعَهُ» [٨]، وقَالَ عَبْدُ اللهِ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهَا حَبْلُ اللهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَإِنَّ مَا يَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا يُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ» [٩]، والآثار في هذا الباب متوافرة ومتكاثرة نمر

[٤] مسند أحمد (٣٥ / ٤٦٧ ط الرسالة)
[٥] التمهيد (١٣ / ٥١١)
[٦] الإبانة الكبرى لابن بطة (١ / ٢٧٦)
[٧] سنن أبي داود - ت الأرنؤوط (٤ / ٢٤٩)
[٨] أخرجه الدارمي برقم ٣٢٦
[٩] رواه ابن بطة في الإبانة برقم ١٣٣

عليها في كتب السنة ولا نعمل بها، بل العمل جاري على ما ينقض هذا الأصل ويزيد في أسباب الفرقة والشتات والله المستعان.

أيها المسلمون: إن الله الذي أمركم بالبراءة من المشركين ومفاصلتهم وتكفيرهم هو الذي أمركم بالولاء للمسلمين ونصرتهم ولزوم جماعتهم فخذوا الدين كاملا ولا تنقصوا منه شيئا تفلحوا، فإنَّ الجماعة المسلمة أصل كبير غفل عنه المسلمون في هذا الزمان فصاروا شيعا وفرقا وأحزابا، فتناثروا واختلفت قلوبهم فكانوا أشد الناس على بعضهم حتى سلم منهم الكفار والزنادقة واحترق بلظى نارهم إخوانهم ومن والاهم، ولو التزموا بأمر الله ورسوله لكانوا يدا واحدة على من سواهم وجميعا على من عاداهم، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] عن عبد الله بن مسعود قال: «حبل الله: الجماعة» [١٠]، وقال النبي: «أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ» [١١]، وقال: «فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ، فَلْيَلْزَمُ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ» [١٢].

إنها الجماعة المسلمة التي تتمثل فيها حاكمية الله والسمع والطاعة والتلقي عن الله عبر القيادة المسلمة التي يرتضيها المسلمون لإقامة أمر الله... الجماعة التي تقوم مقام القاضي والوالي والخليفة في حال فقده كما هو الحال في هذا الزمان... الجماعة التي توازي التجمع الجاهلي وتعمل على تهيئة البيئة التي يستطيع فيها المسلم أن يعيش بدينه في جميع الظروف بتحقيق الحد الأدنى من الواقع الممكن فيه تنزيل نظرية الجماعة المسلمة... الجماعة التي تقوم على آصرة العقيدة الصحيحة والأخوة في الله والتكافل الاجتماعي وتعويض الضرر المادي الذي قد يلحق من ترك الجاهلية فيجد مُعين له على الإسلام وتأليف له على الإيمان... الجماعة التي ترسم الطريق وتُعبِّد المسير للملتحقين بها حتى لا ينزلق في هوة الجاهلية ويرتكس في وحلها ويتلطَّخ بدرنها **فتكون مناراً يسير عليها الحيران وكياناً يأوي إليه الهارب الظمئان الفار إلى الله من مزالق النيران...** إنه ليس هو البديل بل هو الأصل الأصيل الذي دونه الضياع

[١٠] أخرجه سعيد بن منصور (٥٢٠ - تفسير)، وابن جرير (٥/ ٦٤٤)، وابن المنذر (٧٧٣)، والطبراني (٩٠٣٣). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد

[١١] رواه الإمام أحمد برقم ٢٣١٤٥

[١٢] حديث صحيح أخرجه أحمد برقم ١٧٧

في دوامة الكفر الرذيل... إنها الجماعة التي تقوم فيها حاكمية الله على أفرادها وتتحقق فيها العبودية لله تعالى وتكون سراجاً للمسلمين الجُدد تسوقهم نحو برِّ النجاة... الجماعة التي تعمل على إيجاد موطئ قدم لها في هذه الجاهلية يكون منه الانطلاق إلى إقامة دين الله في أرض علاها الكفر وأناخ في جوانبها الظلام وخيَّم في أجوائها الضلال... **إنها قضية كل مسلم وهَّمُ كل موحِّد... ونحن مكلفون بالسير ونصب السراج والمضي على الطريق وقد نصل وقد لا نصل ونحن على يقين أنه ستقوم قائمة لجيل فريد يفتح الله على يديه ديار هذه العبيد** ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

يُتبَع

نسأل الله أن يقيمنا على الملة الغراء ويثبتنا على المحجة البيضاء حتى نلقاه، اللهم أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين... اللهم هيء لهذه الأمة أمر رشدا يعز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين.

